



<http://virtuelcampus.univ-msila.dz/letp/?=212>

ص 107-120

المجلد: 01 العدد: 01 (2021)

المرجعيات الفلسفية للنظرية اللسانية التوليدية التحويلية

The Philosophical Reference for Transformational Linguistic Theory

أ. يوسف بغداددي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر)

baghdadiyoucaf28@gmail.com

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الإرسال: 2021/02/27	
تاريخ القبول: 2021/03/27	
الكلمات المفتاحية: ✓ اللسانيات ✓ التوليد ✓ التحويل ✓ العقل ✓ فلسفة ديكرت	لقد لقيت النظرية التوليدية التحويلية اهتماما لسانيا كبيرا، لما تميزت به من بساطة في التحليل، وحدثة في الأفكار إلا أن المتتبع لمراحل تطور الفكر البشري عموما ومسار الدراسات اللغوية خصوصا، يلاحظ تقاطع الأفكار التشومسكية مع الأفكار الفلسفية، خاصة في مسألة فطرية المعرفة اللغوية وبدايتها، وهذا ما يدل على أن للنظرية التشومسكية جذورا فلسفية، نكشف عنها في هذا المقال.

<i>Abstract:</i>	<i>Article info</i>
<i>the generative transformation theory received considerable linguistic attention, which was characterized by its simplified in level of analysis and modern ideas. However, the following stages of evolution of human thought generally, and interested in language study in particular, demonstrated the mutual relations between the ideas of Chomsky and other philosophical ideas such as instinct is distinguished in and clear and revealed indicating provided to Chomsky's theory has many of the philosophical roots. we will try to discover in the article revealed La theorie generatives transformation or the.</i>	<i>Received:</i> 27/02/2021 <i>Accepted:</i> 27/03/2021
	<u><i>Keywords:</i></u> ✓ <i>linguistics</i> ✓ <i>generation</i> ✓ <i>transmutation</i> ✓ <i>intellect</i> ✓ <i>Descartes' philosophy</i>

مقدمة: ظهرت النظرية التوليدية التحويلية في الخمسينيات وبالضبط سنة 1957 بظهور كتاب البنى التركيبية (Syntactic structures) لصاحبه الأمريكي نعوم تشومسكي (naom Chomsky) أستاذ اللسانيات بمعهد ماساشوستس للتكنولوجيا، وتعد هذه النظرية -بحق- نقطة تحول في مسار الدراسات اللغوية، لأنها رسمت لنفسها طريقة خالفت فيه ما سبقها متى نظريات منهجا، وهدفا، وأدوات وهذا لا يعني مطلقا أنها أهملت أفكار من سبقها، بل تناولتها بالدرس والنقد فرفضت منها ما يتعارض مع وجهتها نظرها. وأخذت منها ما يمكن صقله والاستفادة منه في تحليلاتها وتفسيراتها الخاصة.

فإذا كانت النظريات السابقة تعتمد على المنهج الوصفي في دراستها للقنأ، فإن النظرية التوليدية التحويلية تعتمد على الوصف والتفسير معا، لأن غايتها لا تقف عند وصف ظاهر البنى اللغوية وحسب بل تتعداها لمحاولة فهم الطبيعة البشرية وتحليلها. وهي نظرية تبحث في علاقة اللغة بالفكر، وهذا ما جعل صاحبها (تشومسكي) يصفها بالخطوة الجريئة التي حولت مسار الدراسات اللسانية من العالم المحسوس إلى العالم الميتافيزيقي المجرد. فقال: "إن علم اللسان البنيوي كان يقتصر على (وصف اللغة) دون الامتداد إلى (تفسيرها) والخطوة الجديدة (والجريئة) التي أخذ تشومسكي على عاتقه إنجازها هي القيام بطفرة كفيلة بنقل (اللسانيات) من المرحلة الوصفية إلى مرحلتها النظرية أو التفسيرية"¹

وهكذا صارت نظريته تمثل مركز استقطاب لمجالات معرفين متعددة لاسيما منها الفلسفة وعلم النفس. فما هي علاقتها بالفلسفة؟ ثم ما هي علاقتها بعلم النفس؟ إن جذوره هذه النظرية فلسفية بحتة، لأن موضوعها هو العقل البشري وما يحدث فيه من آليات يتمخض عنها مجموع الجمل التي تعبر عن المعاني والحقائق الكامنة في الذهن، فهي نظرية تبحث في الظاهر والخفي معا. وكذلك الفلسفة هي علم يبحث في ظاهر المعارف وخفيها.

فظاهر هذه النظرية يتمثل في دراستها للبنيات السطحية اللغوية، وأما باطنها فيتمثل في دراستها لطريقة بناء الفكر الإنساني لهذه البنى اللغوية (الجميل). وهذا يعني أن دراستها الباطنية تصف وتفسر معرفة المتكلم بلغته، وبهذا فهي تفتح للسانيات نافذة على عالم الماورئيات أو ما يسمى بالميتافيزيقيا الذي له علاقة بالفلسفة، كما تفتح نافذة أخرى على عالم الإدراك ولاكتساب الذي له علاقة بعلم النفس اللغوي. وعليه، وقبل تفصيل القول في أصول (جذور) النظرية التوليدية التحويلية، نعرف بموضوعها، وفق نظريتنا صاحبها، لنتمكن من الربط بين القديم والحديث وفق إسقاط لساني دقيق.

1. موضوع النظرية اللسانية التوليدية التحويلية: يرى تشومسكي أن أي طفل يولد في بيئة ما، ويتعرض فيها، قادر على أن يتكلم بلغة هذه البيئة بطريقة عفوية، وأن ينتج عددا لا متناهيا من جملها. كما أنه قادر على فهم وإدراك عدد غير محدود من جملها التي يسمعها أو يقرأها حتى لو لم يسبق له أبدا لفظ أكثرها أو سماعه. وذلك بالعودة إلى قواعد كامنة في ذهنه والتي وجدت فيه بوجوده في الحياة"²

وهذا يعني، أن معرفة الإنسان بلغته تشل خاصية مشتركة بين بني البشر، ويعني أن عقل الإنسان يحوي بنيات ذهنية فطرية تساعد على معرفة لغته، إذ أن معرفة الإنسان بلغته هي معرفة فطرية. وعليه، فالهدف من البحث اللساني في النظرية التوليدية التحويلية، هو تحديد خصائص المعرفة اللغوية عند التكلم (أي علم المتكلم بلغته). فامتلاك الإنسان للقدرة على التكلم بلغة ما، دليل على أن هناك شيئا يتصورا عن هذه اللغة في ذهن متكلمها، ومن ثم في العقل الذي سيحدد الألفاظ ودلالاتها وكذا العلاقات الرابطة بينها.

وهكذا يتحدد موضوع النظرية التشومسكية على أنه دراسة معرفة المتكلم بلغته بالكشف عن القواعد الكامنة في ذهنه، وفي هذا الإطار ظهرت عند تشومسكي مجموعة من المصطلحات هي، المعرفة اللغوية-الملكة الفطرية- التوليد- التحويل- الكفاية اللغوية والأداء

الكلامي- النحو الكلي- البنية العميقة والبنية السطحية- الجملة الأصولية واللا أصولية- الحدس ... وهذه الأفكار هي التي سنبحث عن جذورها الفلسفية واللسانية.

2. الجذور الفلسفية للنظرية التشومسكية: إن اعتقاد تشومسكي بأن الدماغ البشري يحوي أفكارا تصورية عن اللغة مصدرها بنيات ذهنية فطرية تمثل قواعد نحوية كلية فيه، هي فكرة فلسفية تعود في جوهرها الأصلي إلى ديكارت الذي يرى أن إدراكنا للعالم الخارجي ناتج عن أفكار موجودة في أذهاننا، وأن هذه الأفكار خارجة عن إرادتنا، امتلكها الإنسان لأن لديه قوة انفعالية تأثر بالأشياء الخارجية وتتفاعل معها لتثير في ذهنه ما يملكه من أفكار عن هذه المحسوسات"³.

كما يرى "أن تأويلنا للعالم مبني جزئيا على أنساق تمثيلية بنية الذهن نفسه ولا تعكس بصفة مباشرة شكل الأشياء في العالم الخارجي."⁴ ومن خلال هذه المقاربة بين فكر تشومسكي وديكارت يتبين لنا أن تشومسكي قد أسس هذه النظرية بعد مطالعة معمقة لتاريخ الفكر الفلسفي الأوروبي مركزا في قراءاته على أفكار عمالقة الفلسفة، سقراط وأفلاطون وأرسطو، وديكارت. وبناء على هذا، فأن بذور الأفكار التوليدية عند تشومسكي، تعود إلى سقراط الذي يرى أن الوصول إلى المعرفة الحقيقة البديهية يكون بثلاث طرق، وهي: التعريف الاستنباطي أو الحوار الجدلي أو التهكم والتوليد: وهذه الأخيرة هي التي استوحى منها تشومسكي أفكاره. فالتوليد -عنده- معناه إنتاج عدد لا متناه من الجمل، أي توليد وإنتاج عدد لا متناه من الأفكار. ويتم ذله بواسطة مثيرات لغوية أو غير لغوية. بمعنى أن المتكلم ينتج هذه الجمل التي تحتوي أفكارا متعددة عندما ما يكون في حالة تخاطب مع الآخرين أو عند تأثره بعامل خارجي، يثير حافظته اللغوية، كأن يرى موقفا غريبا فيعلق عليه دون شعور. وكذلك توليد المعرفة عند سقراط فهو يته عن طريق مثير يسمى التهكم ويكون على مرحلتين:

المرحلة الأولى: يتظاهر فيها سقراط بالجهل التام ثير يوجه مجموعة من الأسئلة إلى محدثيه دون أن يقدم رأيه، فيناقشهم حتى يوقعهم في التناقض ويقروا بجهلهم، فيستخرج من عقولهم الأفكار والمعارف الكامنة في نفوسهم.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة "التوليد"، حيث يساعد فيها سقراط محدثيه على تنسيق أفكارهم السابقة وتنظيمها عقليا للوصول إلى الأفكار الصحيحة أي توليد المعرفة الصحيحة اليقينية⁵ ومما سبق، يتبين أنى فكرة التوليد -كمنهج- فكرة قديمة أما الجديد فيها فيتعلق بالغاية أو النتيجة التي هي -عند سقراط- البحث عن المعرفة المرتبطة الجانب الأخلاقي في التنس الإنسانين، فهي معرفة معنوية فقط. أما عند تشومسكي، فهي البحث عن المعرفة المتعلقة بالجانب اللغوي الإنساني. فهي معرفة مادية ومعنوية معا لأنها تعتمد في انطلاقها على الجمل المولدة أو المنطوقة، لتصل إلى موضوعها، وهو معرفة طبيعة النظام اللغوي الممثل في دماغ الإنسان، و المسؤول على إنتاج هذه الجمل المحسوسة. وفي هذا، يقول تشومسكي "إن دراسة النحو التحويلي حولت مركز الاهتمام من السلوك، الفعلي أو الممكن من نتائج السلوك إلى دراسة نظام المعرفة التي تكمن وراء استخدام وفهم اللغة، و بصورة أكثر عمقا، حولت هذه الدراسة مركز الاهتمام إلى الموهبة الفطرية التي تجعل من الممكن للبشر أن يحصلوا على مثل هذه المعرفة وكان التحول في الاهتمام تحولا من دراسة اللغة المجسدة إلى دراسة اللغة المحصلة والممثلة داخليا في العقل ا الدماغ، والنحو التحويلي ليس قائمة من القضايا خاصة بموضوعات مجسدة مؤلفة بصورة ما، بل يدعى بالأحرى أن يصور بالضبط ما يعرفه المرء عندما يعرف اللغة، أي ما قد عرف كشيء كملته المبادئ الفطرية والنحو الكلي هو تحديد لهذه المبادئ النظرية المحددة بيولوجيا التي تؤلف مكونا واحدا من مكونات العقل الإنساني وهو ملكن اللغة"⁶. من هذا القول، يتبين أن موضوع نظرية تشومسكي تركز على ثلاثة أمور وهي:

أ- تحديد طبيعة المعرفة اللغوية عند الإنسان؛

ب- طريقة اكتسابها؛

ج- كيفية استخدامها.

وحتى يصل إلى ذلك انطلق من الأسئلة التالية"⁷

أ- مما تتألف المعرفة اللغوية؟

ب- كيف تكتسب المعرفة اللغوية؟

ج- كيف تستخدم المعرفة اللغوية؟

وإن هذه الأسئلة لها علاقة بما يسمى بمشكلة المعرفة أو نظرية المعرفة وهي نظرية تبحث في مبادئ المعرفة الإنسانية وطبيعتها ومصدرها وقيمتها وحدودها وفي الصلة بين الذات المدركة والموضوع المدرك كما تناقش الأفكار المتعلقة بأشكال ومناهج المعرفة والحقيقة ووسائل بلوغها والبحث في مشكلة المعرفة الإنسانية قديم، ظهر بظهور الفلسفة التي جعلت منه فاتحة تساؤلاتها ومحور نقاشاتها فهي مسألة إمكانية المعرفة لدى الإنسان، طرحت التساؤلات التالية: هل بمقدور الإنسان أن يدرك جميع الأشياء رغم علاقته المحدودة بالعالم الخارجي وهل بمقدوره أن يصل إلى جوهر ما عرف؟ وهل بمقدوره فيما بعد أن يقتنع ويثق بصدق ما أدركه وصحة ما توصل إليه؟

أما عن البحث في مصادر المعرفة، فطرقت التساؤلات التالية: كيف يستطيع الإنسان أن يتعرف على ماهية ما يحيط به من مدارك مادية ومعنوية؟ كيف يعرف أن هذا كرسي أو قلم أو طاولة؟ كيف يستطيع التفريق بينها؟ أيصل إليها بالحواس أو بالعقل أم بالحدس؟ وأما عن البحث في طبيعة المعرفة، فطرح السؤال التالي: هل المعرفة التي يمتلكها الإنسان مثالية أو واقعية؟ أي هل هي معرفة فطرية أو معرفة مكتسبة؟"⁸

وإن إجابة السؤال الأخير كانت مثار جدل كبير بين الفلاسفة، فهناك من رأى أن معرفة الإنسان فطرية يوجدها الله في الإنسان بمجرد أن يبصر النور، وهناك من رأى أنها مكتسبة يحصل عليها الإنسان مز خلال اتصاله واحتكاكه بموضوعات العالم الخارجي. وفيما

يبدو، فإن تشومسكي في تحليله للمعرفة اللغوية، قد نحا منحى الفلاسفة القائلين بفطرية المعرفة، ويتبين ذلك في قولها حولت هذه الدراسة مركز الاهتمام إلى الموهبة الفطرية. ويقصد بها الملكة اللغوية.

وحتى يثبت فرضية امتلاك دماغ الإنسان لقواعد فطرية تتحكم في بنيات هذه الملكة، طرح سؤالين: أولهما كيف يمكن أن نعرف هذا القدر الكبير جدا إذا ما سلمنا بأن ما لدينا من أدلة هو من النوع المحدود جدا؟ وهو نفس السؤال الذي طرحه بوتراند راسل (Bertrand Russell) في كتابه (المعرفة البشرية) حيث قال: كيف تأني أن تكون الكائنات البشري رغم أن اتصالاتها بالعالم الخارجي قصيرة وشخصية ومحدودة، قادرة على أن تعرف هذا القدر الكبير الذي تعرفه فعلا؟⁹

أما ثانيهما، فهو: إلى أي مدى يمكن للدراسة العلمية للغة أن تساهم في فهم الطبيعة البشرية؟ أي في تفسير هذه الملكة اللغوية¹⁰

وإن جواب تشومسكي على السؤال الأول، كان بتنبيه لأفكار أفلاطون الذي يرى أن المعرفة لدى الإنسان غريزية قبلية، فهذا الأخير يعتقد أن الإنسان لا يكتسب المعرفة، وإنما يعيد اكتشافها من جديد عن طريق التذكر وعلة ذلك أن النفس البشرية عندما كانت في عالم المثل تعلمت كل شيء وأطلعت على الصور المثلى، ولما هبطت إلى الأرض، اتصلت بالجسد ونسيته ما كانت قد عرفتته ولأن ما عرفتته في عالم المثل يتسم بالكمال والثبات والصحة والمطلقة، وما تراه في العالم المحسوس يتسم بالنقصان والتشوه -لأنه محاكاة لما هو في عالم المثل- فإن النفس كلما رأت شيئا في عالمنا سألت ذاتها عن ذلك الشيء، وبهذا الحوار تتضح لها ماهيته قليلا أو كثيرا، فتتذكر التنس أنها كانت قد وت مثل صورة هذا الشيء في عالم المثل¹¹

ولقد سبق سقراط أفلاطون في تبني فكرة المعرفة الفطرية، عندما رأى أن مصدر المعرفة هو العقل وأن المعرفة حقيقة ثابتة، وجوهر العقل واحد مشترك بين الناس، وأن وراء

هذا العالم المحسوس عالماً مثالياً ثابتاً، تعجز الحواس عن إدراكه وفي الإنسان قوة غير حسية تدرك هذا العالم المثالي وتخلد بعد الحياة الدنيا مثابة أو معاقبة¹².

ولقد تبلورت هذه الفكرة في القرن السابع عشر على يد أبي الفلسفة الحديثة رونيي ديكارت الذي حاول البرهنة على أن المعرفة الحقيقية هي التي تتميز بالوضوح والبدهة ومادام حقل هذه المعرفة هو العقل فقد مجده وجعله مقياساً للتمييز بين الخطأ والصواب لا سيما وأنه يمثل قاسماً مشتركاً بين الناس وأن حظوظهم منه متساوية بغنى النظر عن اختلافهم من حيث اللغة والعقيدة والوطن وفي هذا إشارة إلى امتلاك العقول البشرية إلى بنيات ذهنية واحدة تكون سبباً في اشتراك "الناس في خاصية المعرفة الفطرية ولقد عبر ديكارت عن ذلك في كتابه مقال المنهج فقال: العقل هو أحسن الأشياء توزعاً بين الناس إذ يعتقد كل فرد أنه أوتي منه الكفاية حتى الذي لا يسهل عليهم أن يقنعوا بحظهم من شيء غيره ليس من عادتهم الرغبة في الزيادة على ما لديهم منه وليس تراجع أن يخطئ الجميع في ذلك بل الرجوع أن يشهد هذا بأن قوة الإصابة في الحكم وتمييز الحق من الباطل هي التي تسعى بالعقل أو النطق تتساوى بين كل الناس بالفطرة وكذلك يشهد بأن اختلاف آرائنا لا ينشأ من أن البعض أعقل من البعض الآخر.¹³

ولقد شك ديكارت في كل المعارف التي حصل عليها إلا شيئاً واحداً لم يكن بمقدوره أن يشك فيه وهو وجوده لذا كانت فكرته المسماة بالكوجيتوا أنا أفكر إذا أنا موجود تمثل المبدأ الأول الذي تقوم عليه فلسفته وهي بنظره القضية اليقينية الأولى لأنها تتصف بالبدهة والصدق المطلق ومن ثمناً أصبح الوجود الذهني عنده أسبق من الوجود المادي بمعنى أن المعرفة قبلية وفطرية في نظره كما صار معنى التنكير عنده يمثل مختلف العمليات العقلية التي تحدث في دماغ الإنسان من إدراك وتصور وتذكر... الخ وفي هذا القول أنا شيء يفكر أي أنا روح أو إدراك أو عقل وأنا والحالة هذه شيء صحيح وموجود حقاً لكن أي شيء أنا هو؟ ...

أذا شيء يفكر وما هو الشيء الذي يفكر؟ هو شيء يشك ويتذهن وينفي ويريد ويرفض ويتخيل ويحس ...¹⁴

وبعد هذه النتيجة، راح ديكارت يتساءل عن أنواع الأفكار التي يملكها وطريقة الحصول عليها فاكشف أنها تنقسم إلى ثلاثة أنواع: فطرية وحسية وخيالية فقال إن بعض الأفكار مفطور في أي جلت عليه، والبعض الآخر غريب أي مستمد من الخارج، بينما النوع الثالث من تألقي واختراعي الخاص¹⁵

فأما الأفكار الحسية، فهي التي يحصل عليها الإنسان من الأشياء المحسوسة ضد اتصاله بالعالم الخارجي، بواسطة الحواس، وهي أفكار لا قيمة لها من حيث المعرفة لأن مصدرها الحواس، وما كان كذلك، فهو معرفة مشوهة وغير دقيقة. وأما الأفكار الخياليين، فلا قيمن لها من حيث الموضوع لأنها من صنع خيالة ولا وجود لها في عالمنا الواقعي، كأفكارنا عن الغول ... إلخ.

وأما الأفكار الفطرية، فهي التي لا دخل للخيال والحس في تكوينها، فهي أفكار بديهية حدسية أوجدها الله في الإنسان من ولادته، فصارت تمثل أصول تفكيره وسلوكه في مراحل حياته المتقدمة، وهذه الأفكار مثل فكرة الكوجيتوا، ووجود النفس، والكل أكبر من الجزء، ووجود الله ووجود العالم الخارجي ... إلخ.

ويقول: ديكارت يكفي أن أوجه انتباهي كي أدري مالا نهاية له من الخصائص المتعلقة بالأعداد والأشكال والحركات ... تظهر حقيقتها بينة وتتفق تماما مع طبيعتي بحيث أنني حين أبدأ في اكتشافها لا يبدو لي أنني أتعله شيئا جديدا بل بالأحرى أتذكر ما كنت أعرفه من قبل، أعني أنني أدرك أشياء، كانت من قبل في عقلي وان كنت له أوجه بعد فكري نحوها ...¹⁶ ولقد نظر ديكارت إلى ماهية هذه الأفكار الفطرية ومصدرها من جانبين:

الجانب الأول: بين فيه أن هذه الأفكار غير قابلة للشك أو البرهنة لأن مصدرها هو الله ولأنها تتصف بالوضوح والتميز.

الجانب الثاني: بين فيه أن الإنسان يولد ولديه استعداد طبيعي للتفكير في بعض الأفكار البديهية والتسليم بها، فقط عند اكتمال مداركه ونمو قواه العقلية، ومن هذه الأفكار ما تعلق بقضايا الحساب والإله والفيزياء ... إلخ. بمعنى أن الإنسان يولد وهو مزود بملكة فكرية تساعد على تمييز الحقائق اليقينية والتسليم بها وذلك عندما ينمو وتكتمل قدرته العقلية.

وأما وجهة النظر الأولى، القائلة بأن الله يزودنا بهذه الأفكار منذ الولادة، فقد وعضها بعض الفلاسفة (الحسين والتجريبيين). وعلمهم في ذلك، أن الإنسان المولود لا يدرك حقيقة وجوده أو وجود الله أو وجود العالم الخارجي إلا بعد زمن طويل، ودرجة إدراكه لهذه الأمور تتفاوت زمنياً حسب درجة تعتقد كل قضيتين منها لذلك فهم يرون أن الإنسان يولد وعقله كالصفحة البيضاء أي خال من أي معارف مسبقة، وإنما يبدأ في اكتسابها شيئاً فشيئاً عن طريق الحواس التي تعمل على طبعها في الذهن وقد نرد على هذا الاتجاه الرفض، بلغت الانتباه إلى ظاهرة محسوسة، ألا وهي ظاهرة الأصم الأبكم الذي لم يسبق له أن سمع اللغة ولا تحدث بها، ومع ذلك نجده في تحاوره مع الآخرين يحاول أن يعبر عن أفكاره بواسطة حركات. وهذا دليل على أنه يملك، بالفطرة قوة فكرية أو انفعالية تساعد على إصدار هذه الحركات التي أفكاراً ما في نفسه.

أما وجهة النظر الثانية، والقائلة بأن الإنسان يولد ومعه استعداد عقلي لاكتشاف بعض المعارف البعيدة عن الحس البصري، فقد رجب بها البعض الآخر من الفلاسفة وعلى رأسهم كانط الذي رأى أن الإنسان يولد ولديه استعداد لأن تكون به بعض التصورات القبلية المستقلة عن الملاحظة أو التجربة.¹⁷ وهذا يعني أن كانط يوافق ديكارت في مسألة الأفكار الفطرية. وكذلك سبينوزا الذي يرى أن المعرفة هي حالة من صفاء الذهن يتم الوصول إليها بتخليص الذهن من الأفكار المهمة التي تنشأ عن الخيال والحواس، وعندما يعمل العقل على توضيح أفكاره، فإنه يحصل في النهاية على الأفكار الصادقة والتي تمثل الأفكار الفطرية.¹⁸

وأيضا يذهب ليبينز مذهب ديكرت، مدللا على ذلك بأن أفكارنا تكون أصلا في أذهاننا وتأتينا من أعماقنا، وأن أساس يقين الحقائق الكلية يكون في الأفكار نفسها مستقلة عن الحواس.¹⁹ ولقد عبر ديكرت عن هذه الفكرة في مجال اللغة عندما اعتبر اللغة خاصية مميزة للإنسان عما عداه من حيوانات أو آلات فبين أن الإنسان له قدرة فكرية فطرية تمكنه من ترتيب كلماته حتى أن أغبي الناس أو من به خلل في النطق يمكنه أن يفعل ذلك ويؤلف جملا تنقل أفكاره، وفي هذا يقول ديكرت: في كتابه مقال عن المنهج "إن أي آلة مصنوعة على نموذج القرد أو أي حيوان لن نستطيع استخدام الكلمات أو أي علامات أخرى مثلما نستخدمها لننقل بها أفكارنا إلى الآخرين يمكننا تصور تصميم الآلة تصدر عنها كلمات ... لكنها لا تستطيع أن ترتب الكلمات بطرق مختلفة لتستجيب لمعاني ما يقال عنها، كما يفعل أكثر الناس عجزا ... من العجب أنه لا يوجد إنسان مهما أشد غباؤه أو من به لوثة لا يستطيع أن يرتب كلمات متباينة ليؤلف جملة ليوصل بها أفكاره للآخرين، لكن لا حيوان يستطيع ذلك ... ولذلك فنحن في حاجة إلى قدر ضئيل من العقل على الأقل لكي نستطيع الكلام..."²⁰ إن قوله قدر ضئيل من العقل فيه تصريح غير مباشر بامتلاك، ذهن الإنسان لقواعد فطرين تمكنه من الربط بين الكلمات ليؤلف جملا تعبر عن فكره.

وبناء على ما طرح من قبل، يتضح لنا جليا أن النظرية التوليدية التحويلية -فعلا- ذات جذور فلسفية خاصة في مسألة الملكة اللغوية.

الهوامش:

- ¹. كامل، وفاء، (1997)، البنيوية في اللسانيات، مجلة عالم الفكر، مج26، ع2، ص247.
- ². تشومسكي، نعوم، (دس)، مظاهر النظرية التركيبية، نقلا عن: زكريا، ميشال، (1982)، الألسنية التوليدية والتحويلية قواعد اللغة العربية: النظرية الألسنية، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، ص37.
- ³. تأملات في الفلسفة الأولى، تر: عثمان أمين، نقلا عن: المهدي، (دس)، فضل اللغة، فلسفة ديكرت ومنهجه، بيروت، دار الطليعة، ط1، ص157-161.

- ⁴. الفاسي الفهري، عبد القادر، (1986)، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، بيروت، منشورات عويدات، دط، ص42-43.
- ⁵. ذوال الصراف الصايغ، (1983)، المرجع في الفكر الفلسفي، دب، دارا فكر العربي، ط1، ص66-67.
- ⁶. تشومسكي، نعم، (1983)، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخراجها، القاهرة، دار الفكر العربي، تر: مُجّد فتيح، ص83-84.
- ⁷. المرجع نفسه، ص54.
- ⁸. انظر: السكري، عاد، (1999)، نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى ارض مدرسة الديار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، ص27-32.
- ⁹. تشومسكي، نعم، المعرفة اللغوية، ص43.
- ¹⁰. المصدر نفسه، ص11.
- ¹¹. فروخ، عمر، (1982)، المنهاج الجديد في الفلسفة العربية، بيروت، دار العام للملايين، ط3، ص38.
- ¹². الشمالي، عبده، (1965)، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية، بيروت، دار صادر، ط4، ص18-19.
- ¹³. ديكارت، (1930)، مقال المنهج، القاهرة، تر: محمود مُجّد الخضري، دط، ص3-4، نقلا عن: رواية عبد المنعم عباس، (دس)، ديكارت والفلسفة العقلية، دب، دار المعرفة الجامعية، دط، ص13.
- ¹⁴. ديكارت، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى تر: كمال الحاج نقلا عن: فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجية ص94.
- ¹⁵. تأملات في الفلسفة الأولى نقلا عن: ديكارت والفلسفة العقلية، ص208.
- ¹⁶. تأملات في الفلسفة الأولى نقلا عن: ديكارت ومنهجية، ص114.
- ¹⁷. ينظر: فلسفة ديكارت ومنهجية، ص115-117.
- ¹⁸. الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر: فؤاد كامل، بيروت، دار القلم، ص251، نقلا عن: نظرية المعرفة، ص48-49.
- ¹⁹. عبد المعطي، علي، (1972)، ليبينز فيلسوف الذروة الروحية، الإسكندرية، دار الكتب الجامعية، دط، ص239-265.
- ²⁰. زيدان، محمود فهمي، (1985)، في فلسفة اللغة، بيروت، دار النهضة العربية، دط، ص145.

أ. يوسف بغدادی